اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ السَّادِسُ مِنْ:

شَرْحِ (أُصُولُ السُّنَّةِ)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ / أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ.

أَلاَ وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللَّهِ وَخَيْرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلاَ زَالَ الْحَدِيثُ مَوْصُولًا فِي مُدَارَسَةِ أُصُولِ السُّنَّةِ، لِإِمَامِ السُّنَّةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–، الَّذِي ثَبَتَ فِي وَجْهِ الْفِتَنِ وَالْمِحْنَةِ، وَثَبَّتَ اللهُ بِهِ –عَزَّ وَجَلَّ– الدِّينَ، وَرَفَعَ اللهُ قَدْرَهُ، وَكَانَ إِمَامًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وَقَدِ انْتَهَيْنَا فِيمَا سَبَقَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرُؤْيَةِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَيْضًا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الْكَلاَمِ، وَبَيَّنْتُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ، وَجَاءَ سُؤَالٌ يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ، سَأَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ هَذَا اللِّقَاءِ.

وَتَوَقَّفْنَا عِنْدَ قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي الْمِيزَانِ، فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ: «يُوزَنُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ يَزِنُ

جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّنْ رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ».

الْمِيزَانُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَهُوَ حَقٌّ حَقِيقَةٌ، لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ، كَمَا جَاءَ وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «يُوزَنُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ».

وَأَيْضًا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ صَعِدَ عَلَى الشَّجَرَةِ، فَرَأَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ رَأَوْا دِقَّةَ سَاقَيْهِ، يَعْنِي نَحَافَتَهُمَا، فَتَعَجَّبُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «لَا تَعْجَبُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؛ فَإِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ». «»

وَأَيْضًا ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 74]، وَكَذَا قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 7–8].

فَالْمِيزَانُ حَقِيقَةٌ لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ، خِلاَفًا لِمَنْ أَنْكَرَ الْمِيزَانَ، وَزَعَمَ أَنَّ الْمِيزَانَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ، وَعَدَمِ الظُّلْمِ، وَأَنَّهُ لَا تُوجَدُ حَقِيقَةٌ لِلْمِيزَانِ، فَإِنَّ النُّصُوصَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَرُدُّ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ، مَذْهَبِ

الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ، وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ وَافَقَهُمُ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْمِيزَانَ، وَهَذِهِ النُّصُوصُ كَمَا سَبَقَ وَاضِحَةٌ صَرِيحَةٌ، لِذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ذَكَرَ الْمِيزَانَ وَبَيَّنَ قَالَ: «وَالْإِعْرَاضُ عَمَّنْ رَدَّ ذَلِكَ»؛ يَعْنِي عَمَّنْ رَدَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْمِيزَانِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

قَالَ: «وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ» لِمَاذَا؟!

كَمَا سَبَقَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ الْحَقَّ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ التَّشْغِيبَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ إِضْلَالَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ إِفْسَادَ عُقُولِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، لِذَلِكَ لَا نَفْتَحُ لَهُمُ الْبَابَ بِالْجِدَالِ وَالْمُخَاصَمَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- -كَمَا سَبَقَ مَعَنَا- أَنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُ الْعِبَادَ، قَالَ: «وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ»؛ وَهَذَا قَدْ مَضَى مَعَنَا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ لَمَّا ذَكَرَ مَسْأَلَةَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ذَكَرْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ تَبَعًا لَهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مَسْأَلَةَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَسْأَلَةَ الْحَوْضِ، حَيْثُ قَالَ: «وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَوْضًا تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَسِيرَةُ شَهْرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ».

فَمِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِيمَانُهُمْ بِحَوْضِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَدْ صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، بَلْ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[الكوثر: 1-3].

وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ أَيْضًا صَحَّتْ بِهِ السُّنَّةُ بَلْ تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ، وَقَدْ جَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، جَمَعُوا الْأَحَادِيثَ وَالْآثَارَ الْوَارِدَةَ فِي الْحَوْضِ، كَبَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَكَابْنِ بَشْكُوَالَ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَغَيْرِهِمَا -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا-، جَمَعُوا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الْحَوْضِ، وَأَنَّ حَوْضَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، وَأَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَأَنَّ آنِيَتَهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ»؛ يَعْنِي الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَسَافَتَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى صَنْعَاءَ.

وَأَيْضًا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَوْضًا تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا صَحَّ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ حِينَ ذَكَرَ أَحَادِيثَ الْحَوْضِ.

بَلْ وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ أُنَاسًا يُطْرَدُونَ عَنِ الْحَوْضِ، وَهَذَا مَحْمَلُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَكَذَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ يُطْرَدُونَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ حِينَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ جَمَاعَةً يُطْرَدُونَ عَنْ حَوْضِهِ، فَيَقُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أَصْحَابِي، أَصْحَابِي» فَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّهُمْ أَهْلُ الرِّدَّةِ، وَأَدْخَلَ فِيهِمْ غَيْرُهُمْ أَهْلَ الْبِدَعِ؛ لِأَنَّهُمْ أَحْدَثُوا فِي دِينِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

فَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ وَصِفَتِهِ وَمَا جَاءَ فِي أَخْبَارِهِ، وَأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَنَّ هَذَا الْحَوْضَ تَرِدُهُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَجَاءَ أَنَّهُ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، وَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَهُ حَوْضٌ خَاصٌّ بِهِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، أَهْلُ السُّنَّةِ الْمُتَمَسِّكُونَ بِهَا.

فَيَا خَسَارَةَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ، الَّذِينَ خَالَفُوا سُنَّةَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَاتَّبَعُوا آرَاءَهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ وَأَقْوَامَهُمْ، وَتَرَكُوا سُنَّةَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–!!

يَا خَسَارَتَهُمْ حِينَ يُصْرَفُونَ عَنْ هَذَا الْحَوْضِ، وَيُدْفَعُونَ عَنْهُ!!

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يُسْقَى مِنْ ذَلِكَ الْحَوْضِ، وَأَنْ نَكُونَ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَمَعَ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا وُتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَبُّهُ، وَمَنْ نَبِيُّهُ، وَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ».

أَيْ مِنْ خِصَالِ السُّنَّةِ اللاَّزِمَةِ وَالَّتِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا الْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ، وَلَيْسَ بِخَيَالَاتٍ، وَلَيْسَ بِعِبَارَةٍ عَنْ مَعَانٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، بَلْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ ثَابِتٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- ذَكَرَ عَنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا؛ كَمَا قَالَ -عَزَّ شَأْنُهُ-: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46].

وَأَيْضًا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَغَيْرِهِ، الْحَدِيثُ الطَّوِيلُ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ قَبْضَ الْمَلَائِكَةِ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ، وَقَبْضَ الْمَلَائِكَةِ لِرُوحِ الْمُنَافِقِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي صَاحِبِ الْقَبْرَيْنِ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»، فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ وَصَحِيحَةٌ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَعَانٍ وَخَيَالَاتٍ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ.

وَلِذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا» أَيْ تَخْتَبِرُ وَتُبْتَلَى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُثَبِّتُهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ.. لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَمَا قَالُوا».

قَالَ: «وَتُسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَمَنْ رَبُّهُ، وَمَنْ نَبِيُّهُ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ يَسْأَلَانِهِ مَنْ رَبُّكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ وَمَا دِينُكَ، فَالْمُؤْمِنُ يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَّا الْكَافِرُ الْمُنَافِقُ فَإِنَّهُ يَقُولُ كَمَا سَبَقَ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ، فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَاضِحَةٌ وَثَابِتَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ»، هَذَانِ اسْمَانِ لِلْمَلَكَيْنِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ؛ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ»، هَكَذَا جَاءَتْ تَسْمِيَتُهُمْ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ، فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ عَلَى مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-»؛ يَعْنِي نُؤْمِنُ بِذَلِكَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَمَا شَاءَهُ فِي إِتْيَانِ هَذَيْنِ الْمَلَكَيْنِ لِمَنْ مَاتَ فَقُبِرَ، فَيَسْأَلَانِهِ كَمَا سَبَقَ.

قَالَ: «وَكَيْفَ أَرَادَ»؛ يَعْنِي لَا يُعْتَرَضُ، اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يُخْبِرُنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِالْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ الْمَلَكَيْنِ يَأْتِيَانِ الْمَيِّتَ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَسْأَلَانِهِ هَذِهِ الْأَسْئِلَةَ، وَذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ ذَلِكَ؟ كَيْفَ يَقَعُ ذَلِكَ وَالْقَبْرُ مُغْلَقٌ، كَيْفَ يَقَعُ ذَلِكَ وَالْمَيِّتُ مَقْبُورٌ؟

نَقُولُ: كَيْفَ وَلِمَ؟ سَبَقَ مَعَنَا أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَخُوضُ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، بِكَيْفَ وَلِمَ، وَإِنَّمَا هُوَ الْقَبُولُ وَالْإِيمَانُ وَالتَّسْلِيمُ وَالْإِذْعَانُ لِلْحَقِّ وَعَدَمُ الْمُعَارَضَةِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَجَابُوا إِجَابَةً وَاضِحَةً جَلِيَّةً لِلَّذِينَ يُنْكِرُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: نَرَى أَنَّ الْمَيِّتَ قُبِرَ، ثُمَّ نَفْتَحُ الْقَبْرَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَهُوَ كَمَا هُوَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ، فَكَيْفَ تَقُولُونَ عَذَابُ الْقَبْرِ؟

فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ؛ وَلَكِنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ: أَنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ، فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهَا يَقِينًا بِلاَ رَيْبٍ وَلَا شَكٍّ، وَلَا خَوْضٍ بِلِمَ وَكَيْفَ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْحَيَاةَ فِي الْقَبْرِ لَهَا أَحْكَامٌ تَخْتَصُّ بِهَا، غَيْرُ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، فَلاَ يَجُوزُ أَنْ نَقِيسَ حَيَاةَ أَهْلِ الْقُبُورِ عَلَى حَيَاةِ أَهْلِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا لَهَا أَحْكَامٌ تَخْتَصُّ بِهَا، وَالْقَبْرُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَرْزَخٌ، مَرْحَلَةٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَيْضًا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْإِنْسَانَ يَكُونُ نَائِمًا، وَبِجِوَارِهِ مَنْ بِجِوَارِهِ مِنْ أَقْرِبَائِهِ، وَهُمْ مَثَلاً مُسْتَيْقِظُونَ، وَهُوَ يَرَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ سَافَرَ، وَأَنَّهُ قَامَ، وَأَنَّهُ

فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، وَأَكَلَ كَذَا، وَأَنَّهُ سَقَطَ، وَأَنَّهُ جَرَى، وَهُوَ كَمَا هُوَ فِي مَحَلِّهِ، فَيَرَى هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا، وَمَعَ ذَلِكَ مَنْ بِجِوَارِهِ لَا يَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: رَأَيْتُ كَذَا، فَإِذَنْ كَمَا أَنَّ لِلْيَقَظَةِ أَحْكَامَهَا، وَلِلْمَنَامِ أَحْكَامُهُ؛ كَذَا لِلْبَرْزَخِ أَحْكَامُهُ، فَلاَ يَجُوزُ أَنْ نَقِيسَ أَحْكَامَ الْقَبْرِ عَلَى أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَكَمَا سَبَقَ، -وَهَذَا هُوَ الْعُمْدَةُ عِنْدَنَا وَالْمُعْتَمَدُ فِي عَقِيدَتِنَا وَشَرْعِنَا- أَنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نُعَارِضُهَا.

أَلَيْسَتْ وَحْيًا مِنَ اللَّهِ؟!

أَلَيْسَتْ هِيَ صِدْقًا وَحَقًّا وَيَقِينًا؟!

فَلِمَاذَا يَأْتِي الشَّكُّ؟!

وَلِمَاذَا يَأْتِي السُّؤَالُ؟!

فَلِكُلٍّ حُكْمُهُ وَلِكُلٍّ أَدِلَّتُهُ، الَّتِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا، وَيَجِبُ الْإِذْعَانُ لَهَا، وَالتَّسْلِيمُ، وَعَدَمُ مُعَارَضَتِهَا.

وَلِذَلِكَ -بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ- الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ وَالْإِيمَانُ بِالْقَبْرِ، وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ وَالْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تَكُونُ، وَأَنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُ النَّاسَ، هَذِهِ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، الَّذِي مَدَحَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، حِينَ قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي وَصْفِهِمْ﴿الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ

فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2] الْمُتَّقُونَ مَا صِفَتُهُمْ؟ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3] فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ إِيمَانٌ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، فَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ وَالتَّسْلِيمُ لَهَا، وَعَدمُ مُعَارَضَتِهَا، وَأَيْضًا كَمَا قَالَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– الْإِيمَانَ بِالشَّفَاعَةِ، فَقَالَ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: «وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ، وَكَمَا شَاءَ اللَّهُ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ».

الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَابِتَةٌ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ، فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ ثَابِتَةٌ لَهُمْ، بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– ذَكَرَ بَعْضَ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَاتِ:

فَهُنَاكَ شَفَاعَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضِ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ.

وَهُنَاكَ شَفَاعَةٌ لِقَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ فَيُشْفَعُ لَهُمْ فَلاَ يَدْخُلُونَهَا.

وَهُنَاكَ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَيُخَفَّفُ عَنْهُ الْعَذَابُ.

فَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَشْفَعُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَذْهَبُ النَّاسُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، إِلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمْ –عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُ، وَكُلُّهُمْ يُحِيلُ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يَأْتُوا إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا»، فَيَذْهَبُ فَيَسْجُدُ فَيَخِرُّ سَاجِدًا تَحْتَ الْعَرْشِ، وَيُفْتَحُ عَلَيْهِ بِمَحَامِدَ، فَيُلْهِمُهُ اللَّهُ إِيَّاهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»؛ هَذِهِ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَهْلِ الْعَرَصَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَيْضًا لَهُ شَفَاعَاتٌ أُخْرَى –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–.

وَأَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَمُتَوَاتِرَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي ذِكْرِ أَنَّ اللَّهَ–عَزَّ وَجَلَّ– يَأْمُرُ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ تُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ يُشَفَّعُونَ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَهَكَذَا دَلَّتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ أَيْضًا مِنَ الْقُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: 28].

فَهَذِهِ الشَّفَاعَاتُ وَأَنْوَاعُهَا كُلُّهَا ثَابِتَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ بِشُرُوطٍ مِنْهَا: إِذْنُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِلشَّافِعِ وَرِضَاهُ عَنِ الْمَشْفُوعِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48] فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ عَنِ الْكَافِرِينَ، وَعَنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ، بَلْ هُمْ خَالِدُونَ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، أَمَّا مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، بَلْ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، بَلْ جَاءَ أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَلَّا يُذِيقَنَا حَرَّ جَهَنَّمَ.

فَهَذِهِ الشَّفَاعَاتُ الْمُثْبَتَةُ بِالشُّرُوطِ السَّابِقَةِ، وَتِلْكَ الشَّفَاعَاتُ الْمَنْفِيَّةُ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا لَا يَسْتَحِقُّونَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ، فَاللَّهُ لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُنْكِرُونَهَا، وَيُثْبِتُونَ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ، الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا، كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «فَحْمًا» يَعْنِي أَنَّهُمُ احْتَرَقُوا، فَيَصِيرُونَ كَالْفَحْمِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِمْ لِنَهْرِ الْحَيَوَانِ، فَيَنْبُتُونَ فِي هَذَا النَّهْرِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ، وَكَمَا شَاءَ اللَّهُ»؛ يَعْنِي هَذِهِ الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي يُقَدِّرُهَا، وَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ

الَّذِي يَعْلَمُهَا، لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَخُوضَ فِيهَا، وَهَذِهِ أَيْضًا قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، أَنَّنَا لَا نَخُوضُ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ بِالرَّأْيِ، وَبِالظَّنِّ، وَبِالتَّخْمِينِ، وَإِنَّمَا نَخُوضُ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ أَوْ نَتَكَلَّمُ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ بِحَسَبِ مَا جَاءَ بِالدَّلِيلِ وَنَقِفُ، وَلَا نَخُوضُ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، لَا بِإِثْبَاتٍ وَلَا بِنَفْيٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُثْبِتَ إِلَّا أَنْ نُثْبِتَ بِدَلِيلٍ، وَلَا أَنْ نَنْفِيَ إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَنَكْتَفِي بِمَا جَاءَ فِي الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، قَالَ: «وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ».

الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ؛ قِيلَ سُمِّيَ بِالْمَسِيحِ لِأَنَّ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَمْسُوحَةٌ، وَقِيلَ أَنَّهُ سُمِّيَ بِالْمَسِيحِ لِأَنَّهُ يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَّا الدَّجَّالُ فَهُوَ الْكَذَّابُ الْفَاجِرُ، الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ، وَتَكُونُ مَعَهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَمْتَحِنُ بِهَا النَّاسَ، وَلِذَلِكَ فِتْنَتُهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ خَافَهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أُمَّتِهِ، بَلْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَأَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ؛ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ فِتْنَتِهِ وَخَوْفِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَلَى أُمَّتِهِ، وَقَدْ جَاءَ الْأَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةً فِي ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

وَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِي حِينِ غَفْلَةٍ عَنْ ذِكْرِهِ، فَلَابُدَّ أَنْ يَتَذَاكَرَ النَّاسُ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ فِي ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَمَا هُوَ الْمَوْقِفُ مِنْ ذَلِكَ، فَالْأَحَادِيثُ جَاءَتْ مُتَوَاتِرَةً.

وَقَدْ جَمَعَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– كِتَابًا فِي ذِكْرِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ: «قَصَّةُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ وَأَنْ يَقْرَأَ فِيهِ، وَأَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى أَهْلِهِ فَهَذَا أَمْرٌ طَيِّبٌ وَمُفِيدٌ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَمْرٌ يَحُثُّ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْحَذَرِ مِنْهُ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلتَّوَقِّي مِنْ فِتْنَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِخُرُوجِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

نَحْنُ نَقُولُ فِي صَلَاتِنَا، حِينَ نَقُولُ فِي آخِرِهَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».

وَأَيْضًا النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، حَيْثُ قَالَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وَسَأَقُولُ لَكُمْ شَيْئًا مَا قَالَهُ أَحَدٌ قَبْلِي: إِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى».

فَالدَّجَّالُ يَأْتِي وَمَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَيَأْتِي وَمَعَهُ نَهْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُوا لِلنَّاسِ، وَنَهْرٌ مِنْ نَارٍ فِيمَا يَبْدُوا لِلنَّاسِ، فَمَنْ دَخَلَ نَهْرَ الْجَنَّةِ دَخَلَ نَهْرَ النَّارِ، وَمَنْ دَخَلَ نَهْرَ النَّارِ دَخَلَ نَهْرَ الْجَنَّةِ.

فَالدَّجَّالُ قَدْ جَاءَ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ وَمُتَوَاتِرَةٌ كَمَا سَبَقَ؛ وَلَكِنْ مَعَ الْأَسَفِ بَعْضُ النَّاسِ يُنْكِرُ خُرُوجَ الدَّجَّالِ، وَيَتَأَوَّلُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي جَاءَتْ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ بِتَأْوِيلاَتٍ بَاطِلَةٍ؛ إِمَّا أَنْ يُضَعِّفَ الْأَحَادِيثَ وَهِيَ صَحِيحَةٌ، وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ: الدَّجَّالُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْنًى رُوحِيٍّ أَوِ اتِّجَاهٍ مَادِّيٍّ، وَأَنَّ الدَّجَّالَ هُوَ كَذَا، وَهَكَذَا يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثِ الدَّجَّالِ، وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَتِ الدَّجَّالَ وَذَكَرَتْ صِفَتَهُ وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ «ك ف ر»، الْمُؤْمِنُ يَقْرَؤُهَا سَوَاءٌ كَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ أَوْ لَا، فَالْمُؤْمِنُ يَقْرَؤُهَا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ لَا يَقْرَؤُهَا.

فَإِذَنْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: «وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ»؛ وَهُوَ مِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، فَإِذَا جَاءَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَخَرَجَ تَحْصُلُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْأَرْضِ فَيَنْزِلُ عِيسَى –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، فَيَقْتُلُهُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، وَعِنْدَهُ عَيْنٌ طَافِئَةٌ، وَأَنَّ هَذَا الدَّجَّالَ فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ حَقِيقَةٌ لَا يَنْبَغِي إِنْكَارُهُ، بَلْ يَحْرُمُ إِنْكَارُهَا، وَتَكْذِيبٌ لِلنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي ذِكْرِ هَذَا الدَّجَّالِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: «وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ»؛ كَمَا سَبَقَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– جَمَعَ جُمْلَةً وَافِرَةً مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ.

قَالَ «وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ» كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وَأَحَادِيثُ الدَّجَّالِ جَاءَتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، فَلاَ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهَا أَوْ أَنْ يُكَذِّبَهَا، أَوْ أَنْ يُشَكِّكَ فِيهَا، فَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ عَقْلُهُ تِلْكَ الْأَحَادِيث فَلْيُؤْمِنْ بِهَا، وَلَا يُعَارِضْهَا، وَلَا يَصِفْهَا بَأَوْصَافِ السُّوءِ، وَلَا يَصِفْهَا بِأَنَّهَا لَا تَبْلُغُهَا الْعُقُولُ، فَإِنَّ هَذَا كَمَا مَرَّ مَعَنَا مِنْ قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– أَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ عَاطِلٌ، لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: «وَأَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ».

هَكَذَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَنْزِلُ عَلَى كَتِفَيْ مَلَكَيْنِ، وَيَنْزِلُ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ يَتَّجِهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْه يَتَّجِهُ إِلَى قَتْلِ الدَّجَّال فَيَقْتُلُهُ، هَكَذَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

عِيسَى –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– سَيَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لِيَقْتُلَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ.

وَعِيسَى –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– حِينَ يَنْزِلُ يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وَعِيسَى يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ –عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ–، وَذَاكَ يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ؛ فَعِيسَى –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ لِأَنَّهُ سَاحَ فِي الْأَرْضِ، أَيْ أَنَّهُ قَطَعَ وَسَافَرَ فِي الْأَرْضِ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، مِنَ السِّيَاحَةِ؛ أَمَّا ذَاكَ الدَّجَّالُ فَهُوَ يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ فِتْنَةً وَنَشْرًا لِلْبَاطِلِ.

وَبَعْدَ قَتْلِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، –وَهُوَ وَيُمْنَعُ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ– تَأْتِي فِتْنَةُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

إِذَنْ هَذِهِ بَعْضُ الْعَقَائِدِ الَّتِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا وَالتَّسْلِيمُ لَهَا وَعَدَمُ مُعَارَضَتِهَا بِأَهْوَائِنَا وَعُقُولِنَا وَآرَائِنَا.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا، وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا لَا حُجَّةً عَلَيْنَا.

بَقِيَ مَعَنَا بَيَانُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ.

لِأَنَّ هُنَاكَ سَائِلاً يَقُولُ: أُرِيدُ أَنْ أَسْتَفْسِرَ حَوْلَ مَسْأَلَةِ الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ الْقُدُسِيَّ لَا يَأْخُذُ حُكْمَ الْقُرْآنِ كَالطَّهَارَةِ، أَرْجُوا الْجَوَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ؟

فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بَيَّنُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ، وَقَبْلَ أَنْ نَذْكُرَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ، لَابُدَّ أَن نَذْكُرَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَوَّلًا وَالْحَدِيثَ الْقُدُسِيَّ كِلاَهُمَا لَفْظُهُمَا وَمَعْنَاهُمَا مِنَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، فَاللَّهُ تَكَلَّمَ بِهِمَا عَلَى الْحَقِيقَةِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ فَمِنْ وُجُوهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْقُرْآنَ مُتَعَبَّدٌ بِتِلاَوَتِهِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدُسِيُّ فَلاَ يُتَعَبَّدُ بِتِلاَوَتِهِ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: مُتَعَبَّدٌ بِتِلاَوَتِهِ؟ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْقُرْآنَ يُقْرَأُ بِهِ فِي الصَّلاَةِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدُسِيُّ فَلاَ يُقْرَأُ بِهِ فِي الصَّلاَةِ؛ هَذَا فَرْقٌ.

الْفَرْقُ الثَّانِي: أَنَّ الْقُرْآنَ تَحَدَّى اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدُسِيُّ فَلَمْ يَحْصُلْ فِيهِ التَّحَدِّي.

الْفَرْقُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْقُرْآنَ مَنْقُولٌ بِالتَّوَاتُرِ، وَكُلُّهُ ثَابِتُ النَّقْلِ صَحِيحٌ، وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْقُدُسِيَّةُ فَمِنْهَا الْمُتَوَاتِرُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَمِنْهَا الْآحَادُ يَعْنِي مَا رَوَاهُ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ، وَفِي هَذِهِ الْآحَادِ قَدْ يَكُونُ صَحِيحٌ، قَدْ يَكُونُ ضَعِيفٌ، قَدْ يَكُونُ حَسَنٌ، بَلْ حَتَّى قَدْ يَكُونُ مَكْذُوبٌ؛ أَمَّا الْقُرْآنُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فَهُوَ مَحْفُوظٌ، وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْقُدُسِيَّةُ فَلاَ، قَدْ يَقَعُ فِيهَا الصَّحِيحُ وَالضَّعِيفُ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ نَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ، فَالْجَوَابُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَيَّزُوا ذَلِكَ، مَيَّزُوا الْأَحَادِيثَ

الْقُدُسِيَّةَ الصَّحِيحَةَ، وَبَيَّنُوا الْأَحَادِيثَ الْقُدُسِيَّةَ الضَّعِيفَةَ، فَنَسْتَفِيدُ مِنْ تَخْرِيجَاتِ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، وَالَّذِينَ صَنَّفُوا مُصَنَّفَاتٍ فِي هَذَا الْبَابِ؛ إِذَنْ هَذَا الْفَرْقُ الثَّالِثُ.

الْفَرْقُ الرَّابِعُ: قَالُوا: الْقُرْآنُ تُسْتَحَبُّ لَهُ الطَّهَارَةُ، وَبَعْضُهُمْ يُوجِبُهَا، وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْقُدُسِيَّةُ فَلاَ تَجِبُ لَهَا الطَّهَارَةُ، وَإِنَّمَا اسْتِحْبَابًا مِنْ بَابِ ذِكْرِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

الْفَرْقُ الْخَامِسُ: قَالُوا: أَيْضًا مِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا سَبَقَ مَنْقُولٌ بِالتَّوَاتُرِ، لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصٌ، لَا حَرْفٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْقُدُسِيَّةُ فَإِنَّهَا تُنْقَلُ كَمَا تُنْقَلُ الْأَخْبَارُ، وَقَدْ يَحْصُلُ نِسْيَانٌ لِبَعْضِ أَلْفَاظِهِ، أَوْ يَحْصُلُ زِيَادَةٌ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ، لَا يَدْخُلُهُ حُكْمُ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الرِّوَايَةِ.

وَهُنَا أُنَبِّهُ عَلَى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ وَهِيَ: هَلِ الْأَحَادِيثُ الْقُدُسِيَّةُ تُرْوَى بِالْمَعْنَى؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُرْوَى بِالْمَعْنَى، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدُسِيُّ فَيُرْوَى بِالْمَعْنَى، وَهَذَا خَطَأٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، لِمَاذَا؟!

أَهْلُ الْحَدِيثِ بَيَّنُوا أَنَّ ثَلاَثَةَ أَبْوَابٍ لَا تَجُوزُ فِيهَا الرِّوَايَةُ بِالْمَعْنَى:

الْبَابُ الْأَوَّلُ: بَابُ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الرَّاوِي أَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَلْفَاظِهَا قَدْرَ إِمْكَانِهِ، وَلَا يَرْوِيهَا بِالْمَعْنَى إِلَّا ضَرُورَةً، إِنْ خَشِيَ نِسْيَانَ الْحَدِيثِ، فَالْأَصْلُ أَنَّهَا تُرْوَى بِلَفْظِهَا؛ بَابُ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ؛ وَهَذَا كَمَا سَبَقَ مَعَنَا لَمَّا قَالَ ذَاكَ الصَّحَابِيُّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ–: «وَآمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» فَمَاذَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟ «آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»؛ فَعَلَّمَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– اللَّفْظَ الْمَطْلُوبَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: «فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ بَابَ الْأَذْكَارِ لَا يُرْوَى بِالْمَعْنَى».

الْبَابُ الثَّانِي: بَابُ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَهِيَ الْأَحَادِيثُ ذَاتُ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ وَالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ كَمَا قَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»، فَجَوَامِعُ الْكَلِمِ لَا تَجُوزُ رِوَايَتُهَا بِالْمَعْنَى؛ كَقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ يَدْخُلُ فِيهَا أَكْثَرُ أَبْوَابِ الْفِقْهِ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»، فَجَوَامِعُ الْكَلِمِ لَا تُرْوَى بِالْمَعْنَى، وَإِنَّمَا تُرْوَى بِلَفْظِهَا.

وَالْبَابُ الثَّالِثُ: بَابُ الْأَحَادِيثِ الْقُدُسِيَّةِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بَيَّنُوا أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْقُدُسِيَّةَ لَا تُرْوَى بِالْمَعْنَى، وَإِنَّمَا تُرْوَى بِلَفْظِهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى»، فَقَالُوا: تُرْوَى كَمَا هِيَ، وَتُذْكَرُ كَمَا هِيَ، مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ وَلَا تَبْدِيلٍ.

وَأَظُنُّ بِهَذَا حَسُنَ الْجَوَابُ عَنْ سُؤَالِ هَذَا الْأَخِ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، الَّذِي أَثَارَ وَفَتَحَ عَلَيْنَا بَابَ النِّقَاشِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَهُنَا أَيْضًا سُؤَالٌ يَقُولُ: هَلْ أَلَّفَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– مَتْنَ أُصُولِ السُّنَّةِ بَعْدَ فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ أَمْ قَبْلَ؟

يَظْهَرُ أَنَّهُ بَعْدَ فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، أَوْ بَعْدَ ظُهُورِهَا؛ لِأَنَّهُ نَصَّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ.

يَقُولُ: هُنَاكَ أُخْتٌ تَسْأَلُ نَحْنُ أُوذِينَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ، وَلَيْسَ لَدَيْنَا الْإِمْكَانِيَّاتُ مِنْ أَجْلِ الْهِجْرَةِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ نَسْعَى إِلَى الْهِجْرَةِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا أَجِدُ إِلَّا بَيْتَ عَائِلَتِي؛ وَلَكِنَّ الْمُشْكِلَةَ أَنَّ عَائِلَتِي مِنْ عُبَّادِ الْقُبُورِ، يَذْبَحُونَ لِلْقَبْرِ، وَيَنْذِرُونَ لَهُ، وَمُحَارِبُونَ لِلسَّلَفِيَّةِ وَيُبْغِضُونَ السَّلَفِيِّينَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ أُهَاجِرَ وَأَسْكُنَ مَعَ عَائِلَتِي، مَعَ أَنِّي أَخَافُ عَلَى دِينِي مِنْهُمْ، أَمْ أَبْقَى هُنَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ، حَتَّى يُيَسِّرَ اللَّهُ الْهِجْرَةَ –بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ–؟

فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وُجُوهٍ: نَقُولُ لَهَا أَنْتِ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ مَعَ مَنْ؟ هَلْ مَعَ أَبْنَائِكِ أَوْ إِخْوَانِكِ... أَمْ لِوَحْدِكِ؟ فَإِنْ كُنْتِ بِمُفْرَدِكِ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تَعُودِي لِأَهْلِكِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَيَسَّرُ لَكِ الْهِجْرَةُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ أَيْضًا مَرَّ مَعَنَا أَنَّ الْهِجْرَةَ مِنْ بِلاَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلاَدِ الْإِسْلاَمِ وَاجِبَةٌ؛ وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ فِي بِلاَدِ الْكُفْرِ يَقْضِي أَغْرَاضَهُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى بِلاَدِهِ الْمُسْلِمَةِ أَوْ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلاَمِ، فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَظَلَّ فِي بِلاَدِ الْكُفْرِ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَى بَلَدِهِ، وَذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أُوذِيَ فِي بِلاَدِ الْكُفْرِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِقَامَةَ شَرَائِعِ دِينِهِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِهِ عَنْ عَائِلَتِكِ –بَارَكَ اللَّهُ فِيكِ– فَهَذِهِ مُصِيبَةٌ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي يُبْتَلَى بِهَا الْإِنْسَانُ، فَنَقُولُ –بَارَكَ اللَّهُ فِيكِ– احْرِصِي عَلَى هِدَايَتِهِمْ، فَارْجِعِي وَاسْكُنِي مَعَهُمْ، وَحَاوِلِي بَيَانَ الْحَقِّ لَهُمْ، وَإِظْهَارَ الْحَقِّ وَإِبْطَالَ الْبَاطِلِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يَهْدِيَهُمْ عَلَى يَدِكِ، فَلاَ تَيْأَسِي مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، فَادْعِي لَهُمْ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يَهْدِيَهُمْ، وَأَنْ يُوَفِّقَكِ لِدَعْوَتِهِمْ لِلْحَقِّ، وَأَنْ يَتْرُكُوا هَذِهِ الْفِتَنَ وَالضَّلاَلاَتِ الَّتِي ذَكَرْتِهَا –بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ–.

وَهَذَا يَقُولُ: ذَكَرْتَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَبْد الْخَالِقِ يُكَفِّرُ الْأُمَّةَ أَوْ مُعْظَمَهَا، قَالَ: أَنَا لَسْتُ أَعْرِفُهُ؛ وَلَكِنْ رُبَّمَا بِسَبَبِ أَنَّ الْأُمَّةَ لَيْسَتْ تُقِيمُ أَرْكَانَ الْإِسْلاَمِ، كَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ بِالْخُصُوصِ لِأَنَّ الْكَثِيرَ لَا يَدْفَعُهَا، إِلَى آخِرِهِ؟

أَقُولُ جَوَابًا عَنْ هَذَا الْكَلاَمِ فِي هَذَا السُّؤَالِ: إِنَّ هَذَا التَّبْرِيرَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ بِالنِّسْبَةِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْد الْخَالِقِ، لَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَكْفِيرُ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ يُعَلَّمُ،

وَالْعُلَمَاءُ لَمْ يُكَفِّرُوا مَنْ تَرَكَ الصِّيَامَ أَوِ الزَّكَاةَ مَعَ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبَيَّنُوا أَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ؛ وَلَكِنْ لَمْ يُكَفِّرُوا مَنْ أَفْطَرَ، أَوْ مَنْ لَا يُزَكِّي، إِلَّا إِنْ أَنْكَرَ وُجُوبَهَا وَجَحَدَهَا، فَهَذَا يُعَلَّمُ، إِنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ، أَوْ سَاكِنًا بَعِيدًا عَنْ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا بَيْنَ دِيَارِ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامُ ظَاهِرٌ، فَإِنَّهُ يُكَفَّرُ وَيُسْتَتَابُ، وَطَبْعًا انْتَبِهُوا لِلأَمْرِ؛ فَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا هُوَ مَنْهَجُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ.

كَثِيرٌ مِنَ الْإِخْوَةِ –جَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا– فِي الْأَسْئِلَةِ الَّتِي يُورِدُونَهَا يَقُولُ فِي أَوَّلِ سُؤَالِهِ: أُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ، فَأَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَحَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي أَحْبَبْتُمُونِي فِيهِ، وَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ أُشْهِدُ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– فِي عُلَاهُ أُحِبُّ كُلَّ سَلَفِيٍّ وَكُلَّ صَاحِبِ مَنْهَجٍ حَقٍّ يَدْعُو إِلَى السُّنَّةِ وَإِلَى الْحَقِّ، وَيَذُبُّ عَنْهَا، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَأَعْتَبِرُهُمْ إِخْوَانِي وَأَحْبَابِي، وَأَعْتَبِرُهُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيَّ بِفَضْلِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، فَالسُّنِّيُّ السَّلَفِيُّ يُحِبُّ إِخْوَانَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يَجْمَعَنِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.